

## أين برامج مهارات التفكير في مدارسنا ومناهجنا ؟

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وبعد:

إن عصر المتغيرات المتسارعة يفرض على المربين التعامل مع التربية والتعليم كعملية لا يجدها زمان أو مكان، وتستمر مع الإنسان كحاجة وضرورة لتسهيل تكيفه مع المستجدات في بيئته، ومن أجل ذلك تكتسب مقالات تعليم الطالب كيف يتعلم وتعليم الطالب كيف يفكر أهمية كبيرة لأنها تحمل مدلولات مستقبلية في غاية الأهمية، إن التكيف مع المستجدات يستدعي تعلم مهارات جديدة واستخدام المعرفة في مواقف جديدة.

ويعتبر التدريس من أجل تنمية مهارات التفكير فكرة مثالية وغاية في نفس الوقت، فهو مثالي لأنه طالما شغل بال المفكرين التربويين في كثير من أعمالهم الإصلاحية خلال القرن الماضي، وهو غاية لأنه كان يمثل بعداً محيراً لبعض المفكرين، إلا أنه يعتبر مقنعاً للبعض الآخر من الناحية النظرية البحتة، أكثر منه من الناحية التطبيقية، علماً بأن كثيراً من هذه الأفكار بدأت تتلاشى وتغير.

إن الناظر في الممارسات والسلوكيات السائدة في مدارسنا ومناهجنا يجدها لم تتأثر بخطط التطوير التربوي الداعية لتنمية مهارات التفكير، بل إن أهداف التعليم العليا لم تتطرق لتنمية مهارات التفكير ولا حتى للحديث عن المستقبل الذي ينتظر الأجيال القادمة.

فما السبب في ذلك ؟

أعتقد جازماً أن هناك كماً هائلاً من الممارسات والسلوكيات السائدة والخطأ في مدارسنا والتي كانت سبباً رئيساً في تنحية مهارات التفكير، فمن ذلك مايلي:

- أن المعلم هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في الصف، والكتاب المدرسي مرجعه الوحيد في تدريسه.
- استئثار المعلم بمعظم وقت الحصة، ودور الطالب يتمثل في التلقي فقط.
- اعتماد المعلم على السبورة كوسيلة وحيدة للتعليم.
- اعتماد المعلم على عدد معين من الطلاب في الإجابة على الأسئلة أثناء الدرس.
- عدم إعطاء الطالب الوقت الكافي للتفكير عند إجابته على السؤال المطروح عليه.

- عدم تقبل المعلم لإجابات الطلاب التي تختلف عن الإجابة الموجودة في الكتاب.
- اقتصار المعلم غالباً على أسلوب المحاضرة.
- اهتمام المعلم بالنمو المعرفي فقط مع إهمال النمو الانفعالي والأخلاقي والإبداعي.
- اقتصار أسئلة المعلم في الغالب على الأسئلة التي تتطلب مهارات تفكير متدنية.
- إهمال المعلم للأسئلة التي تبدأ بـ: كيف؟ ، ولماذا؟ ، وماذا لو؟.
- إيمان المعلم بأن ما يحويه الكتاب المدرسي هو الحقيقة المطلقة فقط، فلا يعتبر بما يخالفه من حقائق جديدة.

إن استراتيجيات وطرق وأساليب التدريس ترتبط ارتباطاً وثيقاً في العصر الحاضر مع التفكير بنوعيه الإبداعي والناقد، فالمشروع وحل المشكلات والمناقشة والاستقصاء والتعلم التعاوني والمناقشة وطريقة الأسئلة وتمثيل الأدوار والتعلم الذاتي والحقائب التعليمية والتعليم المبرمج والتعليم بالاكشاف وغيرها يمكن أن يستثمرها المعلم والطالب لكي ينمي فيها الطالب تفكيره، فيبدأ التعلم باستراتيجيات وطرق وأساليب مغايرة للقديم والتي كان الطالب يعتمد فيها كلياً على المعلم، فينتقل الطالب من حفظ المعلومات إلى الفهم والتفكير والنقد والإبداع، وبذلك تظهر شخصية الطالب وتظهر إبداعاته الكامنة.

إن هناك عدة عوامل تقف عائقاً بين الطالب وتعلمه مهارات التفكير، وسأعرض لأهم هذه العوامل التي تمارس في الصف وهي:

- ١- تأثر المناهج والكتب المدرسية بالافتراض القائل بأن تنمية مهارات التفكير لدى الطلاب تتم عن طريق مراكمة كم هائل من المعلومات والحقائق، وما يتبع ذلك من حشو عقول الطلاب بالمعلومات والحقائق عن طريق المحاضرات، إضافة إلى الواجبات البيتية التي تثقل الذاكرة ولا تنمي مستويات التفكير العليا من تحليل ونقد وتقييم.
- ٢- التركيز على عملية نقل وتوصيل المعلومات بدلاً من التركيز على توليدها أو استعمالها، فالمعلم يستأثر بالكلام معظم الوقت ويغفل الدور الإيجابي للطلاب والذي يتمثل في النشاطات وطرح الأسئلة والتي تتطلب إمعان النظر والتفكير.

٣- الاختلاف الكبير في المعنى المقصود بالتفكير وتحديد مكوناته، مما يترتب عليه صعوبة تطوير نشاطات واستراتيجيات فعّالة في تعليمه.

٤- الاعتماد الكبير في أسئلة الامتحانات المدرسية على الأسئلة التي تتطلب مهارات معرفية متدنية.

علماً بأنه يمكن للمعلم أن يقوم بتدريب طلابه على مهارات التفكير من خلال أحد هذه الأشكال الثلاثة والتي لا تستغرق أكثر من ٣٥ دقيقة فقط، وهي:

○ العمل الجماعي: حيث تقوم كل مجموعة من الطلاب (أربعة طلاب). بمناقشة المشكلة المطروحة في الوقت المحدد لها، ثم يقوم متحدث بالنيابة عن المجموعة بعرض أفكارها على باقي الفصل، بعد ذلك يقوم باقي المجموعة بعرض أفكارها، أو بعرض النقاط التي تختلف فيها مع المجموعة الأولى، يتم بعد ذلك مناقشة مفتوحة، وقد يقوم المعلم بسؤال بعض الطلاب للتعليق على أحد المجموعات.

○ العمل الفردي: يفضل هذا الأسلوب في المدارس التي لم تعود على العمل الجماعي، كما أنه يفضل في الفصول ذات الأعداد القليلة، والقدرات العالية، ويتم ذلك عن طريق قيام الطلاب بالعمل بشكل فردي، في حدود نفس المدة الزمنية المسموح بها في العمل الجماعي، بعد ذلك يسمع المعلم من الطلاب المتطوعين، أو اختيار من يعرض مقترحاته، ولعل العيب في هذا الأسلوب أنه كثيراً ما ينتهي الوقت قبل أن يستمع المعلم إلى كل طالب على حدة، كما أن الطلاب الآخرين ربما يشعرون بالملل، والبديل لذلك أن يطلب المعلم من كل طالب كتابة اقتراحاته ثم يجمعها، ويقوم بقراءة مقطوعات منها، يتم اختيارها عشوائياً.

○ المناقشة المفتوحة: ليس هناك وقت محدد للقيام بالمناقشة، وإنما يبدأ المعلم بالمناقشة، ويقوم الطلاب بالتعليق وتقديم الاقتراحات من البداية، كما يستطيع المعلم أن يطلب تعليقات الطلاب فرداً فرداً، وعلى المعلم أن يكون حريصاً على طبيعة الدروس العلمية، وألا يتعد عن الهدف من الدرس، فضلاً عن المناقشات الفلسفية.

وللمعلم الحرية في اختيار أحد هذه الأشكال الثلاثة تبعاً لما يراه مناسباً لطبيعة الطلاب وعددهم، كما تجدر الإشارة إلى أن الشعور بالتحسن والتقدم في مهارة ما يكون تدريجياً،

حتى أن بعض الطلاب لا يكادون يشعرون بالتقدم من يوم لآخر، على عكس المواد الدراسية والتي يمكن رصد التقدم الذي يحدثه الطلاب فيها يوماً بعد يوم، فالتفكير الناقد والإبداعي يعطي شعوراً أكبر بالإنجاز حيث أن الهدف هو الابتكار والوصول إلى فكرة جديدة، من منطلق الإصرار على تحديد التفكير.

ويمكن أن تشجع عمليات التفكير ومهاراته في الصف الدراسي عن طريق إتباع الخطوات الست التالية ( علماً بأنها لا تختص بمادة بل تصلح لجميع المواد الدراسية )، وهذه الخطوات هي:

١- تصميم درس يتناول عدداً قليلاً من العناصر بدلاً من تغطية سطحية لعدد كبير من العناصر.

٢- عرض درس مترابط منطقيًا.

٣- منح الطلاب وقتاً كافياً ومناسباً للتفكير في الإجابة على الأسئلة المطروحة.

٤- قيام المعلم بتوجيه أسئلة تتحدى تفكير الطلاب، أو تطور مهمات على درجة من التحدي تناسب مستوى قدرات الطلاب واستعداداتهم.

٥- ضرورة أن يكون المعلم نموذجاً يحتذى به في مجال التفكير، من أجل مساعدة الطلاب وحملهم على الاستغراق في التفكير.

٦- يجب أن يقوم الطلاب بتقديم الشروح مع ذكر المبررات المؤيدة لذلك، من أجل تدعيم آرائهم.

وهنا يأتي السؤال: هل تهيئ مدارسنا فرصاً للطلاب كي يقوموا بمهمات تعليمية مبنية على

تساؤلات يثيرونها هم بأنفسهم بما ينعكس على تنمية مهارات التفكير عندهم؟

والجواب البسيط على ذلك لا !! فأساليب وطرق واستراتيجيات التدريس التي تستخدم

في مدارسنا مع الأسف الشديد تعتمد اعتماداً كبيراً على الحفظ والاسترجاع، ولا توجه

الطالب إلى التفكير والتفكير ومن ثم الإبداع والنقد، مع إيماننا العميق بأهمية الحفظ في

بعض المواد كالمواد الشرعية، وخاصة النصوص القرآنية والحديثية، لكن ما الذي يمنع من

أن نجمع بين الحفظ والفهم ومن ثم التفكير والتفكير فيما تحمله هذه النصوص الشرعية.

إنه لم يشجع الطلاب على التفكير بأنواعه منذ الصغر فإنهم سوف يتوقفون عن التفكير والتأمل، فهم في حاجة للتفكير الإبداعي والناقد لكي يتمكنوا من التكيف في هذا العالم سريع التغير، ول يتمكنوا أيضاً من حل المشكلات التي ستواجههم.

إن الفرصة مازالت متاحة لمؤسساتنا التربوية كي تطور قدرات الطلاب على التفكير، مما سيكون له الأثر الكبير لنجاح البرامج والمناهج التي تقدم للطلاب من أجل تنمية مهارات التفكير عندهم، وما يعقب ذلك من تكيفهم مع متطلبات هذا العصر، ومن المهم ألا تناط هذه المسؤولية بوزارة التربية والتعليم فقط، بل يجب أن تشارك جميع المؤسسات التربوية من جامعات ومعاهد ومؤسسات تربوية خاصة، إضافة للخبراء المتميزين في تخصصاتهم، فإذا ما اشترك الجميع في هذا العمل فإنه بمشيئة الله سيكون له الأثر الواضح في الرفع من مستوى التفكير لدى الطلاب ومن ثم تنمية المهارات المطلوبة، والتي سترفع بمشيئة الله من مستوى التعليم والتعلم في بلادنا.

كتبه / د. فهد بن عبدالعزيز بن سليمان أبانمي